(١٠)

إلى متى!؟
لا نشهد واقع الله في واقع قيامنا بالحياة

حديث الجمعة

١٧ جمادى الأولى ١٣٨١ هـ - ٢٧ أكتوبر ١٩٦١ م

أعوذ بالله معي رحيمه من الشيطان معي رجيمه. وأستعين بالله قائما على نفسي أن يقوِّم طريقي وأن يهديني مسيري.. فضلا منه برحمته. وأتوكل عليه أولى مني بنفسي، برسوله.. الذي عمم به رحمته للعالمين، والذي جعل منه إماما للمرسلين، والذي جعله شهيدا على الشهداء من العباد المتصلين الكرام القائمين.. الكتب العالمين.. السموات الراحمين.. السبل الهادين.. العيون الممدين.. الذين هم بنور الله في الناس سارين، والقلوب بما أودعهم الله محيين.

عباد الله: إلى متى لا ترون واقع الله في واقع قيامكم وفيما تشاهدون في القيام من حولكم؟ إلى متى تحرفون الكلم عن مواضعه متابعين للمحرفين للكلم عن مواضعه؟ إلى متى تغمضون أبصاركم عن مشاهدة ما يريكم الله ويكشف لكم من أمره في أمركم من أنفسكم، وفيما يحيط بكم من حولكم في الآفاق من الأشياء ومن الخلائق ومن الحقائق؟

كرمكم الإنسان وأبناء الإنسان وذات الإنسان وروح الإنسان، وجعل شهودكم لمعانيه بمعانيكم في معاني أبيكم، وجعل شهود وحدانيته في شهود وحدانيتكم بمعناه لمعانيكم عنه، ذكرا له، ووجها له، وعبدا وكتابا له، أبناءً مكرمين، ولدانا مخلدين.

إلى متى على أمركم لا تحرصون، وأبواب الحياة أمام نواظركم لا تطرقون، وسبيلها لا تدخلون؟

إلى متى إلى قلوبكم لا تتجهون وفي مرايا أنفسكم من إخوانكم من المؤمنين لا تنظرون؟

إلى متى عن وجه الله يحيط بكم فيما تنظرون من الأشياء ومن الناس أنتم عنه غافلون؟ يستقبلكم ولا تستقبلون، وينظركم ولا تنظرون، ويشهدكم ولا تشهدون، وينادیكم ولا تسمعون، وإن سمعتم فعن النداء تصمون.

أنتم فيه إن استيقظتم إليه تتجهون وبه تقومون، ووجه حكمته تمثلون فوجها لله من ورائكم محيط تشهدون، ولكنكم وجه الله في أنفسكم لكم لا تشهدون، وبه لا تؤمنون، وله لا تعملون، وعليه لا تحرصون، وهو أثمن ما في الحياة التي تشهدون ولا تقومون.

إلى متى أنتم عن هذا غافلون وله لا تطلبون؟ والطريق إليه لا تسلكون؟ وأبواب الله من عباده لا تستقبلون؟ ونفوسهم لا تطرقون؟ وقلوبهم لا تفتحون؟ ولله بين جوانحكم وفي قلوبكم كنوز لكم، أنتم عليها لا تحرصون، لأنكم لها لا تنظرون، وعنها لا تعلمون ومنها لا تصدرون؟!

يذكركم المذكرون الذاكرون فلا تذكرون لأن أوانيكم بالغث من الذكرى، والغث من العبرة، والغث من الفكرة تشغلون. فكيف لجديد عليها - وهي ملأى - تستقبلون؟ إنكم إذا لم تغيروا ما بأنفسكم فإن الله لا يغير ما بكم. وليس لكم من سلطان في تغيير ما بأنفسكم إلا أنكم بما فيها تكفرون، وإلى خارجها به تقذفون، فتصبحوا من كل غث آسن متخلصين. فإذا راكم الله من ظلام أنفسكم فارغين، وأنفسكم لطلبه ناصبين، ومن الأبوة والأمومة متحررين.. يتامى فاقرين.. مساكين لأبواب السماء طارقين.. أفاض عليكم من ماء الحياة يتدفق من نظرات عباد ناظرين بنظرات تحيي القلوب، وتزكي النفوس، وتطور الذوات، وتحفظ من الآفات، وتبرز من الله لطالبه الآيات، وتقيم فيه الصفات، فيشيع من نفسه ما بات، ويعرف منها ما فات، ويستكمل لها ما يرضيه من ألوان الحيوات، فتبعث بما يجعلها جنة للحياة بل جنات.

إنكم في هذا اللون من القيام للحياة بدايات. ولقديم من الكينونة نهايات. ولتجديد العوالم الكبرى بسعة غايات. فأنتم من هو وسط ما بين قديم وآت، سر الحياة وسر الممات. إن متم عنكم قام أنا القديم بكم، فكنتم له وجوه غيبه، وآيات كتبه، وكتب أعلامه، وحظائر سلامه، وأحواض مائه تردها النفوس المتعطشة للحياة، فكنتم رياض جنته تدخلها النفوس المطمئنة. ألستم دين القيمة! ألستم متابعين المبعوث بتمام مكارم الأخلاق! ألستم روح قدس الله تحملون بالكلمات منكم توضع وعنكم تنشق وجوها لله وأناجيل، وكتب لله يشهدها الناس أقباس نور الله من روح قدس الله في معانيكم، عترة رسول الله عليهم شهداء.. أمة وسطا وأمة العلماء الأنبياء!

بهذا جاءكم محمد رسول الله وهو به اليوم يأتيكم، عَلما على الله وعين حق الله. هو لكم وبين جوانحكم، ويدا تمتد لأيديكم، يقوم على نفوسكم أولى بها منها، أزواجه لكم أمهات، وهو لكم وَجه الغيب، وسر الآباء والأمهات، ووحدة الجماعات والأمات. قلوتموه ما قلاكم، وتركتموه ما تركتكم، وباعدتموه ما باعدكم، ونسيتموه ما نسيكم. أنكرتم عليه غيب الحياة وظاهر الحياة ما أنكر على ربه في معناكم، وما أنكر عليكم ما الله له خلقكم واجتباكم. صبر معكم في قديم، ويصبر معكم في حاضر، وسيبقى صابرا معكم

ومع ذراريكم في مستديم، حتى يبلغ الهدي محله، وحتى يغلب به أمر الله بصلاح أمركم، وحتى يظهر الله بما يظهر من آياته في أنفسكم وفي الآفاق. هو لكم في أنفسكم حتى لا تجحدوه، نتوحدوه - وقد وحدكم - لتشهدوه - على ما شهدكم - وتقاربوه - على ما قاربكم - عبادا له ووجوها له، وذكرا له وأسماءً له، وصفات له وحضرات له، وحقائق له وأقباسا من نوره، وصورا لمعانيه.. تصور بها ليشهد وليميز ولتتميز لكم ومنكم أسماؤه وصفاته، ونتوحد لكم بكم من ورائكم محيط ذاته.. لا تغيبوا الله ولا تغيبوا ذات الله، وأنتم حيثما وليتم وجوهه مشاهدين، ووجهه فيكم قائمين، وبأخلاقكم في قيام أخلاقه في خلقكم متخلقين.. عباده وأعلامه، نومه وقيامه، معركته وسلامه، جنوده وأعلامه.

بهذا جاء مؤسسو الأديان وكان محمد لهم جماع وصاحب اللواء. من فتح للكل باب الرجاء. من هيأ للكل أسباب الجزاء. من علَّم الكل وما زال يعلم الكل، في كله لهم وفي كلهم له.. عبدا طويت له الأرض وزويت، وعبدا طويت له السموات وزويت.. كل من في السموات والأرض آتيه عبدَ الله ووجه الله، عبد الرحمن ووجه الرحمن، عبد الديان ووجه الديان، عبد مالك يوم الدين وعين مالك يوم الدين.. به عُرف الله قديما، وبه يعرف الله في قيام الخلق بقيامه، وبه سيعرف الله عند من لم يعرفه يوما في قادم.. لا ينقطع عمله ولا يُجز عطاؤه، ولا تتخلف عن الناس وجوهه، ولا تقعد عن الامتداد برحمة الله يده. هو للإنسانية كل شيء.

بوحدانيته مع الناس وبوحدانية الناس فيه معه تُعرف وحدانية العظمة به، ويقدر الله حق قدره، ويضع الناس في الله نفوسهم في مواضعها من عبده ورسوله عبادا لله. والله أكبر والله أعظم. والله على عظمته إلى الناس أقرب. يقاربهم رسوله حقا منه والأكبر للناس أقرب. تظهر عظمة رسوله عليهم والله عليهم برسوله أعظم..

تمت به كلمة الله القديمة الأزلية موجودة قبل الوجود الذي أوجد لها، وتجددت بجديده باقية أبدية بوجود خلق لها. فاستدار به الزمان على هيأته كيوم خلق الله السموات والأرض في أزلي فعله. خلقها لكلمة منه حقا وعبدا، خلق لها كل شيء، وخلقها لنفسه من نفسه فأسراها بما خلقت له لنفسه في كل شيء، فأصبح بها كل شيء مخلوق لنفسه.. رحمة من الله وتدانيا منه ليحقق الخلق بطابع حقه من كلمته في سرمدي فعله. ضرب ابن مريم مثلا للمؤمنين، وعنوانا للمسلمين، ورجاء محققا للمتقين، وجنة مزلفة للطالبين، وسفينة نجاة سارية في بحار الوجود لرب العالمين.

إلى متى يبقى الناس بدينهم أسفل سافلين؟ وسلم المعراج بينهم مهيأة لهم لا يصعدون وعليها لا يعرجون وهي مطية مسخرة من رحمة الله رب العالمين؟!

إن بين الناس من عترة رسول الله، ومن صنوان كتاب الله، ومن حي كلمات الله، جوامع بروح قدس الله.. عباد للرحمن يمشون على الأرض هونا ويخاطبون الجاهلين سلاما.. يتواضعون لا عن ضعة، ويُعلون مجيبهم وراجي الله فيهم على أنفسهم مُسْعدين، في البيوت المرفوعة لهم قاذفين، من البيت الموضوع بهم عارفين مباركين مباركين.

إلى متى عباد الله لهذا لا تذكَّرون، وعليه لا تتواصون، وعنه لا تبحثون؟ ولو عرفتم عنه لسرتم في جميع أرجاء الأرض منقبين، وله طالبين، وعنه باحثين.. لقد داناكم الغيب بالأنباء مذكرين ولكم منادين، وبقي أن تكونوا لهم ملبين، مؤمنين بهم قائمين، فيكم ساعين، أنتم لهم طالبين، عنكم لا يغيبون. بأقدامهم عبادا للرحمن على الأرض يمشون، وبأرواحهم فوق السموات يدبون، وهاماتهم عند عرش رب العالمين.. يستغفرون للذين آمنوا وتابوا.. ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما، فاغفر للذين تابوا وأصلحوا واتبعوا سبيلك، لقد سلكوا طريقك ووردوا حوضك، إنهم عند بابك يطرقون، وحول بيتك يطوفون، وقد عرفوا أهل بيتك وبيت ذكرك وتوحدوا مع عبادك.

هذا جاءكم به الدين.. فبماذا تذكرون وماذا تقولون وماذا تنقلون؟ أعن أسلافكم من المتقين المقامين القائمين أم عن أسلافكم من الغافلين الهالكين المحصودين؟ إن في أسلافكم من عرف الله وفرغت نفسه وانتصب فنصب، وذَكَرَ فذُكِّر فذَكَّر، وعلم فطلب فتعلَّم فعلَّم، فأدرك فعرف فعرَّف. فأي الفريقين أنتم بينكم تتابعون وعنهم تنقلون ولهم تذكرون؟

سبحان الله! لو كنتم لفريق النجاة ذاكرين ما كنتم في الأسفلين، وما كنتم على ما أنتم عليه من الحال في غفلتكم عنكم عنه تعمهون، فلا الإسلام تعرفون ولا الإيمان تذوقون، فلا تعرفون ولا تذكرون أنكم عباد لرب هو رب العالمين، أنتم فيه إن حييتم به عوالمه، وأنتم بنوره مصابيحه ومشاعله.. فهل وقود النار ترضون وتطلبون، ولأنفسكم بفعلكم تحققون؟ أم مصابيح الظلام مشرقة بنار احتراق أجسادكم مشكاة صدوركم تشعلون، ومن شجرتها تكاثرون، وجديدكم من قديمكم تشهدون منه أحسن تقويم طلعة وجه رب العالمين؟! فتتواجدون كلمة طيبة وشجرة طيبة، نار الله الموقدة لا تخبو بتجديدها أبدا وتتقد بوصلتها سرمدا.. كلما نضجت جلود بها بدلت جلودا غيرها، مشعلة نفسها سراجا وهاجا لتضيء على أبنائها، عشقا لله واحتراقا في هواه وفناء به عن سواه، تموت به محبة للحياة فيه فيحييها بمعناه، ويشعلها للناس من إنسان ذات مبناه جذوة مرتضاه، مشرقة مغربة ما دام خلق الله، وما دام كون الله، وما دام عباد الله، وما دام وجود الله.

لا تظنوا بالله الظنون وظنوا بالله أجمل الظن وأكمله. لا تجعلوا من الطاعات دين، ولكن اجعلوا من الطاعات عمل، واجعلوا من الفهم دين، واجعلوا من حس قيام الله يقين، واجعلوا من وحدانية الله

لكم سفين، ادخلوا في حصن وحدانيته خلف من دخلها تغفر ذنوبكم، وتقبل فيه أرواح ذواتكم، وترتقي به معانيكم.

ذلكم جاءكم به رسول الله محمد، على دوام إشراق به في عترته ما خبا، وعلى دائم اشتعال متلاحق ما طفئ وما اختبا، عبادا للرحمن في كل زمان، وفي كل البلدان، وفي كل مكان وفي كل الأديان.. تواجدوا في عديد لا يدرك وظهروا للناس بالفضيلة بكل عنوان كريم ظاهر مدرك، وهم في عصركم وفي كل أوطانكم متواجدون، بالله ظاهرين، وعن الله معرِّفين، ولذكر الله بين جوانح الخلق منبهين، وحجاب الغفلة من ظلام النفوس من العباد رافعين، وللناس على رفعه ورفعتهم معينين ما كان الناس في الله مجاهدين، وله طالبين، ولاسمه بين جوانحهم مرددين، وعلى الحق متواصين.

ذلكم جاءكم به الدين. فإلى متى به لا تنتفعون وله في الناس لا تعممون؟ إلى متى أنتم بهذا جاحدين وعليه لستم بعاملين ومن أنفسكم منه يائسين! إنكم الأنبياء تكونون ما عليه حرصتم، وله في أنفسكم أقمتم، وبه من أنفسكم للناس انتشرتم.

هذا ما نرجوه لكم إن شاء الله في قريب من أمركم، وفي قائم من أمره وواسع من رحمته. من الله تواجدتم فإن عليه حرصتم، وقيامه كنتم، فإليه تنسبون، وإليه ترجعون، وبه تقومون، وفيه تتكاثرون وتتعددون وتتوحدون، فتكبرون وتعالون، وتعالى الله عما تصفون.

أستغفر الله لي ولكم استغفارا مترددا في كل مكان، متعددا في كل عنوان حتى يغفر.

وأسترحم الله لي ولكم استرحاما قائما ممتدا في الزمان حتى يرحم.

وأستهدي به لي ولكم استهداء ملحا مستمرا في الجلود حتى يهدي.

وأستحيي الله لي ولكم حتى يُحيي.

وأصبر لله وأصبر لكم حتى يقبل وحتى يغفر وحتى يجزي.

لا إله إلا هو في قديمنا من قديمه. ولا إله إلا هو في حاضرنا بحاضره. ولا إله إلا هو في قابلنا بقابله. لا إله إلا هو أزلا وأبدا ما كناه. ولا إله إلا هو سرمدا ما وحدناه.

عبده واجب الوجود في وجوده. به وله ظهر وجوده، وعليه وله ظهرت نعمته وجوده. عبده في أزل وعبده في أبد وعبده في قيام لا يتوقف له بدء، ولا ينعدم له ظهور، ولا يمتنع عليه تمام، ولا يحرم به منه سلام، ظاهر به فيه سرمدا.. نطلبه في حاضرنا كما طلبنا لربه في ماضينا، وكما سوف نطلبه ويطلبنا في قابلنا. نطلبه في حاضرنا بحاضره لنا حتى تتوثق بيننا وبينه العلائق، وحتى تقوم بيننا وبينه الأوشاج

والروابط، وحتى نكون من أهله، وحتى ندخله من بيته، وحتى نستظله من قدمه، وحتى نستشهده من وجهه، وحتى نسبحه من إطلاقه، وحتى نستطعمه من جنته.

إن الله في عبده ما تعبَّد العبد له. وإن النفوس المطمئنة في عباده ما أكبروا الله، وما عرفوا معراج الله إلى الله.. منه يستمدون عطاءه غير مجذوذ، وبه يعرجون سلم عظمته لا يتوقف لهم فيه معراج. يعرجون من خلقيتهم لحقيتهم، ومن حقيتهم إلى معارجهم بها لحقيقتهم.

هذا هو الدين، وهذا هو الرجاء الثمين، وهذا هو الحق من رب الأرض والسماء.. نسأله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة. نسأله أن يولي أمورنا خيارنا وأن لا يولي أمورنا شرارنا بما كسبنا، ونسأله أن يولينا سواء السبيل حكاما ومحكومين روادا ومرودين. الأمر منه والأمر إليه في قائم قائمنا وفي ماضينا وقابلنا.. نشهد أنه لا إله إلا الله ونشهد أن مولانا وسيدنا وإمامنا عبده ورسوله. هدانا الله وإياكم سواء السبيل.

أضواء على الطريق

(ماذا تظنونه السبب فيما لديكم من حروب؟ ماذا تظنونه السبب فيما لديكم من بؤس؟ ماذا تظنونه السبب فيما لديكم في عالمكم من بالغ الشجون؟ إنهم هؤلاء الذين أعمتهم المادة ولا يرون إلا ما بين حدودها، لا يشهدون ما خلف الأشياء المادية من روح موحدة للروح الأعظم. وهم إذ يسعون إلى التفرقة ويعملون بها جاءتهم الفوضى، وجاءتهم المحنات والكوارث، وحل بهم الإفلاس وفقدوا النظر السليم والقلب السليم والسكينة.

ولما كنا نحبكم لأن الحب الذي يأتي من الروح الأعظم يسري خلالنا جميعا، فإننا قد جئنا إليكم نحاول إعانتكم على تناول الأنقاض، وبنائها على أساس الأشياء الأبدية، على قوانين الروح الأعظم).

من هدي السيد الروح المرشد سلفر برش